بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجهم واهتدى بهداهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

وبعـــــــــد:

فالحالة التي وصلت إليها الأمة الإسلامية في هذا الزمن لا تخفى على أحد، ولا حاجة إلى شرح وبيان ما وصلت إليه من ضعف وتفرق وتسلط للأعداء تجاوز بعد تسلطه عليها عسكرياً وسياسياً واقتصادياً إلى تسلطه عليها في عقيدتها وشريعتها ودينها وأخلاقها داخل البلاد الإسلامية نفسها، يعاونه على ذلك فئات تنكرت لدينها الإسلامي وعقيدتها ومنهاج ربها وفئات أخرى تنكرت لشريعة الإسلام وسماحته الذي عاشت تحت ظله آمنة مطئمنة.

والبحث في أسباب ذلك ضرورة للأمة حتى تعرف مواطن الخلل وأسباب الفوز والنجاح، ولتسلك الطريق الصحيح والمنهج القويم والصراط المستقيم الذي يعيد إليها مكانتها وريادتها وقيادتها وهي تحمل هذا الدين العظيم الذي جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله ﷺ، لتعمل به أولاً وتتمسك بحبله المتين، ثم لتدعو إليه عالماً مضطرباً وحضارة غربية بلغت أقصى مراحل الضياع والسفه والسفل والمحادة لله ولرسله عقيدة وشريعة وأخلاقاً، وإن ادعت رقياً مادياً وتقدماً تقنياً.

وقد كشفت كتب وبحوث ودراسات الكثير من هذا الخلل الواقع في هذه الأمة قدّمها علماء هذه الأمة ودعاتها ومصلحوها من أهل الغيرة على هذا الدين والحرص على استقامة هذه الأمة على المنهاج القويم والاستمساك بحبل

الله المتين.

وهذه الدراسة التي نقدم لها والتي جاءت بعنوان: **(دور أهل الذمة في إقصاء الشريعة الإسلامية)** للأخ الباحث **ماجد بن صالح المضيان** وفقه الله وسدده – هي جهد مشكور ضمن هذه الجهود الطيبة ، تكشف دور فئة من أخطر الفئات داخل بلاد المسلمين في مسألة من كبار مسال هذا الدين وأصوله وهي مسألة الحكم بما أنزل الله وتطبيق شريعة الإسلام في بلاد المسلمين.

وهذا موضوع واسع تمتزج فيه مسائل العقيدة بمسائل الشريعة وأحكامها، مع تطبيقات ذلك خلال تاريخنا الإسلامي إلى أن يصل إلى تاريخنا المعاصر أو الحديث، حيث تكون المعركة قد بلغت أوجها مع أعداء هذا الدين في داخل بلاد المسلمين وخارجها الذين سعوا بكل ما أوتوا من وسائل إلى إقصاء هذا الدين عقيدة وشريعة عن حياة المسلمين.

ولما كانت سنة الله ثابتة لا تتغير ولا تتبدل في الصراع بين الحق والباطل، ولديننا اليقين بوعد الله، ووعده رسوله ﷺ الصادق المصدوق ببقاء هذا الدين ونصر حملته، وبلوغه ما بلغ الليل والنهار – كان من الواجب علينا الأخذ بالأسباب الشرعية والمادية في مواجهة هذا العداء، والتي هي أسباب النصر للمؤمنين في كل زمن وعلى كل عدو، مهما بلغت عداوته وشدة بأسه.

ومن هذه الأسباب – وهي كثيرة معلومة – فضح أعداء هذا الدين قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٥] ومن ذلك ما فعله بعض أهل الذمة داخل بلاد المسلمين وفي ظل الحماية لهم وإعطائهم حقوقهم المشروعة، وعيشهم بين ظهراني المسلمين في أمن وأمان، حيث قابلوا هذا كله بالنكران والكيد الخفي والتعاون مع أعداء المسلمين، ولم نزل نقرأ خلال تاريخنا الإسلامي عن بعض الأحداث الشاهدة على ذلك.

وإذا وصلنا إلى عصورنا المتأخرة وجدنا كيدهم قد بلغ منتهاه حرباً على

المسلمين وأمة الإسلام، وتعاوناً منظماً من الأعداء من المستعمرين وأعداء هذا الدين، الذين احتلوا بلاد المسملين، وقسموها وفرقوها، وأقصوا شريعة الله واستبدلوا بها شرائع ونظم الغرب وقوانينهم.

وأحب أن أشير هنا إلى عدة أمور:

أحدها: أن مصطلح أهل الذمة مصطلح شرعي، وقد أعجبني حفاظ الباحث على هذا المصطلح، خاصة وأنه وللأسف الشديد - كادت تغيب بعض هذه المصطلحات الشرعية في حياة المسلمين اليوم لغلبة الأنظمة العالمية الجاهلية التي لا تفرق بين الأديان، صحيحها وباطلها موحدها ووثنيها. فأصبحنا لا نسمع بها إلا من خلال بطون كتب العلم أو دروس العلماء العلمية في متون العلم التي ألفها العلماء، وهي التي تؤصل لطلاب العلم الفهم الصحيح لمسائل وأحكام العقيدة والشريعة، وتبعد عنهم روح الانهزام التي نراها لدى البعض ممن طغت عليه لغة ومصطلحات العصر التي تأتي من عند الكفار العالين المستكبرين في الأرض، والواجب علينا أن نعتز بديننا وبمصطلحاتنا الشرعية وأن نحافظ على ذلك.

الثاني: يتوجس البعض من المدلول الشرعي لمصطلح أهل الذمة والمقتضي لوجوب أن يعطوا المسلمين الجزية عن يد وهم صاغرون كما هو نص القرآن الكريم ، قال تعالى: ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التوبة: ٢٩] وهي آية محكمة، وكذلك ما جاء في السنة، وعمل الخلفاء الراشدين المهديين من شروط أهل الذمة، ووجوب أحكام الإسلام عليهم الذي هو من الصغار الذي دلت عليه الآية، وقد كان هذا معمولاً به في البلاد الإسلامية إلى سنة ١٨٦٠م تقريباً.

وسبب توجس البعض - كما سبق - روح الانهزام وغلبة النعرة العالمية الجاهلية المستكبرة في الأرض، وليس هذا مقتصراً على مسألة أهل الذمة بل شمل غيرها مثل مسألة الجهاد، والرق، وحقوق المرأة، والولاء والبراء، وحكم الردة والزندقة... وغيرها.

وشريعة الإسلام هي شريعة العدل والكمال، وهي شريعة الرحمة والإحسان، وكيف لا تكون كذلك وهي شريعة رب العالمين التي ارتضاها وكملها وجعلها خاتمة الشرائع وناسخة لما سبقها وجعلها باقية إلى آخر الزمان، وتتبين هذه المعاني من خلال هذه المسألة التي نحن بصدد والحديث عنها.

فعقد الذمة لأهل الكتاب الذين يقيمون في دار الإسلام له أغراض عظيمة وسامية منها:

١] أنهم إذا قبلوا عقد الذمة فإنهم لا يسترقون، ويؤمنون على حياتهم وحريتهم وأموالهم وعباداتهم. وقد وفى المسلمون لهم بذلك أعظم وفاء، وقد شهدوا بذلك، بل وشهد بذلك إخوانهم من الكفار خارج بلاد المسلمين. والحديث عن ذلك لمن تتبع وقائع التاريخ وأحداثه يطول وهو تاريخ يدل على عظمة هذا الدين وكمال هذه الشريعة حين يطبقها المسلمون حقاً.

٢] أن عقد الذمة منهاج دعوي عظيم لإخراج هؤلاء من الظلمات إلى النور، وذلك أن الصغار والشروط التي تفرض عليها إنما تزول كلها بمجرد دخول الواحد من هؤلاء في الإسلام.

والتاريخ يشهد أن الآلاف بل والملايين دخلوا في الإسلام بسبب ذلك، وعقد الذمة يلتقي هنا مع الجهاد في سبيل الله حيث كان من آثاره العظيمة دخول دول ومناطق بل وقارات في الإسلام، وكان الجهاد والفتح الإسلامي أعظم بركة مرت عليها، حيث أخرجهم الله بسببه من الشرك إلى التوحيد ومن ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. ودخول الواحد

من هؤلاء في الإسلام هو والله خير من الدنيا وما فيها.

ألا فليتق الله أولئك الذين غفلوا عن هذه المعاني وشغلوا بإرضاء الغرب الكافر وكيفية التعايش معه، ونسوا ما معهم من توحيد وإيمان وشريعة تترب عليها السعادة في الدنيا والآخرة.

الثالث: أن أهل الذمة المعاهدين داخل بلاد المسلمين، يجب عليهم أن لا ينقضوا هذا العهد بأي ناقض يدل على نكثهم العهد – الذي يوجب البراءة منهم وقد يوجب قتلهم . مثل:

١] الطعن في القرآ، أو سب الله تعالى أو سب الرسولﷺ، أو الطعن في دين الإسلام وشريعته.

٢] فتنة المسلمين عن دينهم، مثل حملهم على ترك دينهم، أو التضييق عليهم وإيذائهم في دينهم.

٣] قطع الطريق على المسلمين.

٤] الامتناع عن أداء الجزئية أو عدم التزام الشروط عليهم.

وعلى هذا فإذا تعاونوا مع أعداء المسلمين، أو خانوا المسلمين وكشفوا عوراتهم للأعداء، أو صاروا سنداً ورداً للأعدءا أو غير ذلك من أنواع النكث والنقص للعهود فإنهم يستحقون العقوبات الشديدة على ذلك كما بينه العلماء –رحمهم الله تعالى – .

ومن تأمل هذا عرف أية جريمة ارتكبها أولئك الذين تحدث عنهم هذا الكتاب.

الرابع: إقصاء الشريعة وما يتبع ذلك من أساليب لحرب الإسلام لم يعد مقتصراً على هذه الفئات من أهل الذمة داخل بلاد المسلمين، بل – وللأسف الشديد– حمل الراية معهم أو عنهم بعض المسلمين الذين تنكروا لدينهم

وعقيدتهم وشريعتهم، حتى أصبحت حربهم على هذا الدين أشدّ من حرب الأعداء المعلنين عداوتهم من غير المسلمين.

وقد حمل هذه الراية فئات وأصحاب مدارس فكرية علمانية مختلفة الاتجاهات والمذاهب، تلتقي على التعاون مع الأعداء، والعداوة لهذا الدين ولحملته والدعاة إليه. حتى أصبح خطرهم محدقاً وتحولوا إلى المجاهرة بأهدافهم والتصريح بعدائهم لهذا الدين عقيدة وشريعة ومنهاج حياة.

وإذا كان هذا الكتاب يفضح أولئك من أهل الكتاب داخل بلاد المسلمين، فإن فضح هؤلاء المنافقين والزنادقة واجب حتى يعرف المسلمون مدى الكيد والحقد والعداء الذي تكنه نفوسهم المريضة.

وأخيراً نسأل الله تعالى أن يبارك في هذه الجهود التي تفضح الأعداء، ونسأله تعالى أن يصلح أحوالنا وأحوال المسلمين جميعاً وأن يرد كيد الكائدين في نحورهم. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه/ عبدالرحمن الصالح المحمود

الرياض ١٥/٥/١٤٢٨هـ